

تفسير سورة الأحزاب من المخطوط "إلهام الرحمن" للشيخ عبيدالله السندي: دراسة وتحقيق  
(Commentary of *Sūrah al-Aḥzāb* from the Manuscript "*Ilhām al-Raḥmān*" by 'Ubaidullāh al-Sindhī: Study and Annotation)

Abdul Hayee

Doctoral Candidate, Tafseer & Qur'ānic Sciences, Faculty of Usuluddin (Islamic Studies), International Islamic University, Islamabad, Pakistan

Dr. Qari Taj Afsar

Deputy Dean/ Associate Professor, Faculty of Usuluddin (Islamic Studies), International Islamic University, Islamabad, Pakistan

Abstract

This article investigates and annotates an Arabic Commentary of "*Sūrah al-Aḥzāb*" from a *Tafsīr* manuscript named "*Ilhām al-Raḥmān*" by 'Ubaidullāh al-Sindhī, a well-known scholar and a political activist of Indian independence movement. "*Ilhām al-Raḥmān*" was dictated by *al-Sindhī* to his disciples during his stay in Mecca. I have selected the referred manuscript for study and connotation as no work has been done on this scholarly effort yet. The study finds the relevant exegesis a distinctive interpretation of the Quran in terms of knowledgeable and scientific thought. It relates the issues of real life to the teaching of Quran and authentic prophetic traditions.

**Keywords:** Quran commentary, 'Ubaidullāh al-Sindhī, "*Ilhām al-Raḥmān*", "*Sūrah al-Aḥzāb*"

الشيخ السندي من أجل علماء القرن العشرين قد ترك تراثا علميا خلفه، وخاصة إماليه على تفسير القرآن باللغة العربية المسمى بـ"إلهام الرحمن". وهذا تفسير منفرد حيث مادته وفكرته فإنه يتناول التفسير السياسي والاجتماعي للقرآن. ومن خلال ذلك يتمسك بفكرة الإمام ولي الله الدهلوي، وهذا التفسير له ميزات عديدة،

فاخترت سورة الأحزاب من هذا التفسير لأنها تتحدث عن حزب الله، والاجتماعية التي يحدثها غلبة القرآن تتم أيضا بحزب واحد لا بالأحزاب. كالنموذج لأن المسلمين فازوا فيها مع أنهم كانوا قليلين فالمقصود تطهير المجتمع الإسلامي عن الأحزاب، وإلى الآن مازال مخطوطا؛ فلذا قمت بدراسة هذا المخطوط وتحقيقه في هذا البحث.

### التعريف بالمؤلف

هو الشيخ عبيد الله بن إسلام السندي ولد في بيت من بيوت الوثنيين في 9 من المحرم سنة 1289هـ الموافق 1872م في قرية "جيانوالي" من مضافات (سيالكوت) ببلاد بنجاب وتوفي والده قبل ولادته فتربى في حجر خاله الوثني، وتعلم الخط والحساب والتاريخ وغيرها في مدرسة إنكليزية. ورأى ذات يوم في اليقظة أن نقطة من نور حاذت بين عينيه ثم دخلت في قلبه، فوجد بردا وسكينة في قلبه، وألقى في روعه أنه سيدخل في دين الإسلام فرغب إليه وحصل بعض الكتب الإسلامية كتحفة الهند للشيخ عبيد الله البائلي<sup>1</sup> وغيره واشتغل بها مدة حتى رسخ في قلبه الإيمان، فهاجر من بلدته إلى السند سنة 1305هـ=1888م فأسلم على يد الشيخ الحاج محمد صديق السندي<sup>2</sup> فأقبل على طلب العلم ورحل إلى كانبور ثم إلى ديوبند فأخذ الحديث عن شيخ الهند محمود حسن بن ذو الفقار علي<sup>3</sup> الحنفي، وتفقه عليه ورسخ في العلوم. كان ممن سعى لنهضة المسلمين وإقامة العدل. توفي في الثالث من رمضان سنة 1363هـ الموافق 21 من أغسطس 1944م، ودفن في قرية

<sup>1</sup> - الشيخ عبيد الله السلفي البائلي صاحب تحفة الهند، كان اسمه في الجاهلية اننت رام واسم أبيه كوني مل، أظهر إسلامه سنة 1264 هـ وصنف رسالة لطيفة في تحقيق ديانة الهند تسمى بتحفة الهند، فهدي الله سبحانه بها كثيراً من الناس. وتوفي سنة 1310هـ. لينظر: عبد الحي الحسني، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بزهوة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (بيروت: دار ابن حزم، 1420هـ)، 8: 1299-1300.

<sup>2</sup> - هو الشيخ الحافظ محمد صديق البرجوني السندي من أئمة الطريقة الراشدية، توفي سنة 1308هـ. لينظر: عبد الخالق آزاد، سرگزشت حيات، ترجمة "تحديث العبد الضعيف بنعمة ربه اللطيف للإمام عبيدالله السندي" باللغة الأردية (لاهور: إداره رحيمية، 2014م)، 34.

<sup>3</sup> - هو الشيخ محمود حسن بن الشيخ ذوالفقار علي المعروف بـ "شيخ الهند" ولد في بريلي سنة 1268هـ. من تلامذته الشيخ أشرف علي التهانوي والشيخ أنور شاه الكشميري، والشيخ عبيد الله السندي، وغيرهم. توفي الشيخ في عام 1339هـ لينظر: أكبر شاه البخاري، أكابر علماء ديوبند (لاهور: إدارة إسلاميات)، 41-44.

دين بور من توابع بهاولبور. ومن أحسن ما كتب التمهيد لتعريف أئمة التجديد بالعربية ألفه بمكة، ومقالة عن الشيخ ولي الله الدهلوي في العدد الخاص بذلك لمجلة الفرقان الشهرية.<sup>4</sup>

### نبذة عن "إلهام الرحمان في تفسير القرآن" وأهم ميزاته العلمية ومنهج المؤلف فيه

إن من تراث الشيخ السندي التفسيري، تفسيره باللغة العربية المسمى بـ "إلهام الرحمان في تفسير القرآن"، وقد أملاه الشيخ السندي على تلميذه موسى جارالله<sup>5</sup> العالم الروسي الذي تم لقائه مع الشيخ السندي خلال سفره إلى روسيا، وخلال إقامته بمكة المكرمة قد لقيه مرة ثانية فاستقى من منبع علمه، فتلقى عنه فكرة الإمام ولي الله، فنسخ هذا التفسير بالسماع من الشيخ السندي، وذلك فقط في مئة وخمسين يوماً<sup>6</sup>. إن تفسير "إلهام الرحمن" ما زال مخطوطاً ولم ينشر بأكمله حتى الآن، وتوجد له ثلاثة نسخ حسب علمي: منها نسخة في مكتبة حميد الله التابعة لمجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، ونسخة في مكتبة الجامعة حيدرآباد، ونسخة أخرى بماليزيا، وهذا المقال مبني على أساس المخطوط الأول، فبعد المراجعة إلى هذا المخطوط قمت بدراسته من سورة الدهر إلى سورة الحجرات في مرحلة الدكتوراة، فالمقصود في هذا البحث تفسير سورة الأحزاب (دراسة وتحقيق) فقط. أذكر الخصائص المنهجية للتفسير إيجازاً في النقاط التالية:

### تفسير القرآن حسب ترتيب النزول

إن السندي اتبع في مؤلفه الترتيب النزولي دون التفسير المتبع عند عامة المفسرين، وهذا الاتجاه التفسيري من مميزات القرن العشرين حيث قام بعض المفسرين بتفسير سور القرآن حسب ترتيب النزول.<sup>7</sup>

<sup>4</sup> - الحسيني، نزمة الخواطر، 8:1300؛ آزاد، سرگزشت حیات، 33-39.

<sup>5</sup> هو الشيخ موسى جارالله ابن فاطمة، ولد في الروس 1295 هـ، وتوفي في مصر "بالقاهرة" عام 1369 هـ لينظر: خيرالدين بن محمود الزركلي الدمشقي، الأعلام (قاهره: دار الملايين، ط:15، 2002م)، 7:320-321.

<sup>6</sup> عبد الحميد سواتي، مولانا عبید الله سندهی کے علوم وافکار (جوجرانواله: مكتبه حميديه، 1423هـ)، 67.

<sup>7</sup> ومن هذه التفاسير: 1- تفسير بيان المعاني للشيخ ملا حويش آل غازي الفراقي الديروزوري (1880م-1978م)، وهذا التفسير في ستة مجلدات. 2- التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة (1887م-1984م)، والتفسير في عشر مجلدات. 3- فهم القرآن الحكيم - التفسير الواضح حسب ترتيب النزول لمحمد عابد الجابري (1935م-2010م) والتفسير في ثلاث مجلدات. 4- معارج التفكير ودقائق التدبر للشيخ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني (1927م-2004م)، والتفسير في خمسة عشر مجلداً، ويحتوي على تفسير السور المكية، ولكن المؤلف لم يوفق لإكتماله. وهذا النوع من التفسير من الاتجاهات الجديدة في تفسير القرآن. الباحث.

### تأثره بفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في تفسير إلهام الرحمن

يعدّ الشيخ السندي أكبر شارح في شبه القارة الهندية لفكرة الإمام الدهلوي، كما أشار إليه الشيخ موسى جارالله: "وكان الإمام السندي وقف جل عمره في القرآن الكريم وفي فلسفته. وكان يفسر القرآن على أصول فلسفة صاحب حجة الله البالغة. وقد اجتهد في تحصيل فلسفته وفي شرحها عدة سنين، حتى أتقنها حق الاتقان، وأثرها على كل فلسفات سائر الفلاسفة، ثم بنى على فلسفته تفسير كل القرآن الكريم. وكان يعتقد في الإمام اعتقاداً لم أر أحد يعتقد في إمام من أئمة الأمة".<sup>8</sup>

### الاهتمام بتفسير القرآن بالقرآن

كما يقول الإمام الدهلوي في الفوز الكبير تحت عنوان تفسير القرآن بالقرآن: "وهنا نكتة دقيقة لا بد من معرفتها، وهي أن القرآن الكريم أحياناً يذكر القصة في موضع بالإجمال، وفي موضع آخر بالتفصيل كقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ البقرة: 30 ﴾ ثم قال بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ البقرة: 33 ﴾"<sup>9</sup>

### الاهتمام بتفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة

مثل قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الفاتحة: 5 ﴾ يقول الدهلوي: "الصراط المستقيم كتاب الله"<sup>10</sup> وهذا تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة كما في تفسير جامع البيان في تأويل القرآن: "عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال، وذكر القرآن، فقال: هو الصراط المستقيم."<sup>11</sup> <sup>12</sup>

<sup>8</sup> غلام مصطفى قاسمي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن، مقدمة التفسير للشيخ موسى جارالله (حيدرآباد، مكتبة هيرآباد، 1998م)، 4.

<sup>9</sup> الشاه ولي الله الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، تعريب وتعليق: الشيخ سعيد أحمد البالن بوري (كراتشي-باكستان: مكتبة البشري، 1433هـ=1202م)، 98.

<sup>10</sup> الشاه ولي الله الدهلوي، فتح الخبير بما لا بد من حفظه من علم التفسير (المكة المكرمة: جامعة أم القرى، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الجامعية قسم المخطوطات)، 3.

<sup>11</sup> أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، (المتوفى: 255هـ) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) باب فضل من قرء القرآن، ت: حسين سليم أسد الداراني (المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، 1412هـ)، 4 : 2098، رقم الحديث 3374.

<sup>12</sup> محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاکر (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ=2000م)، 1 : 171.

### الاهتمام بأقوال الصحابة \_رضوان الله عليهم أجمعين

كما يقول الإمام الدهلوي في الفوز الكبير: وأحسن الطرق في شرح الغريب ما صحح عن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس<sup>13</sup> عن طريق أبي طلحة<sup>14</sup>، واعتمد عليه البخاري<sup>15</sup> في صحيحه غالباً...<sup>16</sup>  
التفسير الاجتماعي<sup>17</sup>:

قد برز هذا الاتجاه في تفسير عديد من المفسرين في العرب والعجم، منهم الشيخ السندي الذي طبق هذا المنهج في تفسير القرآن إلى أقصى ما يمكن حتى أنه يستنبط من القرآن من النكت التفسيرية المتعلقة بالأمور الاجتماعية.

الادعاء بأن القرآن يريد غلبته على الأديان: كلها استدلالاً من حديث الرسول "الإِسْلَامُ يَغْلُو وَلَا يُغْلَى"<sup>18</sup> كما يقول الإمام في حجة الله البالغة: فالمراد من نصب هذه الأمة أن تكون كلمة الله هي العليا، وألا يكون في الأرض دين أعلى من الإسلام.<sup>19</sup>

### النقد على آراء المفسرين

<sup>13</sup> أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق-

أحمد علي المعوض، أحمد عادل (بيروت: دار الكتب العلمية، ط: الأولى: 1415هـ)، 3: 291-292.

<sup>14</sup> يوسف بن عبد الرحمن المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق- بشار عواد (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ)، 20: 493.

<sup>15</sup> المزي، تهذيب الكمال، 24: 430-467.

<sup>16</sup> الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، 42-43.

<sup>17</sup> هو المنهج العلمي الذي يحاول فيه المفسر أن يفسر القرآن في ضوء المناهج العلمية التي تدرس أصول نشأة المجتمعات البشرية و المؤسسات والعلاقات بينها الاجتماعية وكذا المبادئ المؤسسة للحياة الاجتماعية ويعتمد هذا المنهج على تطبيق النظرية القرآنية في المجال الاجتماعي. لينظر: عبد الجبار الرفاعي، الفكر الاجتماعي في تفسير الميزان (مجلة قضايا الإسلامية، العدد الثاني: 1995م)، 9.

<sup>18</sup> أبو الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني (المتوفى: 385هـ)، سنن الدارقطني، تحقيق وتعليق- شعيب

الأرنؤوط، وغيره، باب المهر (بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة، 1424هـ/2004م)، 4: 371، رقم الحديث: 3620.

<sup>19</sup> الدهلوي، حجة الله البالغة (بيروت لبنان: دار الجيل، 1426هـ/2005م)، 2: 39.

إن المتدبر في تفسير إلهام الرحمن يجد أن الشيخ السندي أحيانا ينتقد في تفسيره على أقوال المفسرين ويرجح رأيه مع الدليل كما لجأ إليه في آخر سورة الأحزاب. وهذه بعض ميزات تفسير إلهام الرحمن.

### تفسير سورة الأحزاب<sup>20</sup> (دراسة وتحقيق)

إن الشيخ السندي قد ذكر في بداية تفسير سورة الأحزاب تمهيدا موجزا ثم قسمها باعتبار آياتها على اثني عشر فصلا، وعين لكل فصل عنوانا ثم بين موقفه عن سورة الأحزاب في الفصل الأخير.

#### ملخص التمهيد

الاجتماعية التي يحدثها انقلاب القرآن<sup>21</sup> يلزم أن تكون بصورة حزب واحد لا بصورة الأحزاب حتى يمكن إقامة حكومة على قانون القرآن تغلب على جميع الحكومات الأرضية، فلتتمام هذا الانقلاب يشترط نفي الأحزاب من الاجتماع. هذا يسميه أهل عصرنا بتطهير الحزب عن الضعفاء الذين لم يطمئن أنفسهم على الملك تماما، فالظاهر من إسم سورة الأحزاب أنها تخبر عن الأحزاب التي هاجمت المدينة، وباطنها نفي الأحزاب من الاجتماعية الإسلامية المدينة هي صورة الاجتماع الإسلامي. فالله عزوجل نفي هجوم الأحزاب عليها، كذلك يجب على النبي صلى الله عليه وسلم ثم على المؤمنين أن يطهروا الاجتماع الإسلامي عن الأحزاب. فالآن أذكر ملخص كل فصل من الفصول بطريق موجز.

#### تعين مقصد السورة<sup>22</sup>

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ... 1. اتق الله: معناه اجتهد في جمع قوة لأقامة العدل والإحسان<sup>23</sup> ولا تطع الذين هم داخلون في جماعتك. وليس المراد عندنا الكفار والمنافقون

<sup>20</sup> سبب تسمية السورة بالأحزاب هذا بأن قبائل العرب المختلفة هاجموا على المدينة، وكان يهود المدينة ومنافقوها معهم؛ لكن حزب الله فازوا في غزوة الأحزاب، فالله عزوجل ذكرهم كالنموذج للمسلمين بأنهم فازوا فيها مع أنهم كانوا قليلين فهم يستطيعون بأن يقضوا على ملوكية كسرى وقيصر، وقيموا العدل لجميع الإنسانية. الباحث.

<sup>21</sup> غلبة القرآن أي غلبة الدين على الأديان كلها. الباحث.

<sup>22</sup> هو جمع قوة لإقامة العدل والإحسان. الباحث.

<sup>23</sup> مفهوم التقوى عند الشيخ السندي: هو إقامة العدل والإحسان، يؤيده قول الشيخ عبد القادر الجيلاني: جماع التقوى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ... النحل: 90 ﴾. لينظر: عبد القادر الجيلاني، الغنية لطالبي طريق الحق، باب مجلس التقوى، بتحشية أبي عبد الرحمن (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ)، 2: 274.

الخارجون من المسلمين.<sup>24</sup> ومعنى لاتطع أي حاربهم. وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ... 2. فكل من لم يتبع ما يوحى إليك بالتمام فكان في قلبه مرض أو كان منافقا أخرجهم من جماعتك حتى لا ينسب إليك أنك لاتتبع ما يوحى إليك. وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ... 3؛ لأن هذه الحرب<sup>25</sup> الحرب الداخلي صعب؛ لكن ليس شيء يترك مهملا فتوكل على الله في إكمال مقصد نزول القرآن، واشتغل برفع هذا النزاع والخصومة.

### تعيين البرنامج

من قوله تعالى: مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ... 8. المسئلة الأولى: جعل التوجه إلى تكميل المقصدين يستلزم فشلا في كل منهما. هذا أمر طبيعي للإنسان أن لا يكون له مقصد أصلي إلا شيء واحد؛ لأن كل نظام بدنه عامل تحت نظام مركز واحد فقوله: ما جعل الله لرجل<sup>26</sup>.... إشارة إلى توحيد المقصد لازم لفطرة الإنسان وله أمثال: إذا خالف الرجل فطرته هذا وجعل له مقصدين متفردين أحدهما من الآخر فيكون حركته هذه مثل أفعال الآخر على خلاف الفطرة التي يعملها على خلاف الفطرة فيكون أمرا منكرا عند العامة والخاصة. والمثال الأول من الأمور الغير الفطرية ما كان رائجا في الجاهلية يجعلون الزوجية التي هي تابعة له في تكميل بعض أعماله منزلة الأم<sup>27</sup> التي كانت أصله. يجمعون الأصلية والفرعية في موضع واحد<sup>28</sup>: جمع مثل هذين الأمرين منفردين منكر لاجمع كل أمرين. إذا كان أحدهما أصلا والآخر لازما له لأبأس بالجمع؛ لأنه في الحقيقة لا يتعدد الكل. إليه

<sup>24</sup> يؤيد قول الإمام الألويسي الموقف المذكور: "ولاتطع المنافقين المضميرين" لينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، روح المعاني، ت: علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ)، 11: 142.

<sup>25</sup> إن المقصود لدى الشيخ من قوله: "لاتطع الكافرين" هي الحرب الداخلي، وهي صعب جدا لأن الحرب بالمسلمين الداخلين أي المنافقين \_ في جماعة النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وهم لا يتبعونه تماما صعب. الباحث.

<sup>26</sup> قد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآية المذكورة نزلت في رجل من قريش يقال له ذو القلبين، وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر، فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليه. لينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن

كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة (الرياض: دار طبية للنشر، 1999م)، 6: 336.

<sup>27</sup> لا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله أنت علي كظهر أمي أما له. الباحث.

<sup>28</sup> كما جاء في التفسير الكبير: "كان في الجاهلية يعتبر قول الزوج للزوجة أنت علي كظهر أمي طلاقا حتى كان للزوج أن يتزوج بها من جديد أما في الإسلام فلأنه يظاهر لا يحرم الوطء فلا تصير هي أما بإجماع الكل" لينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح

الغيب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط: 4، 1420هـ/ 1999م)، 25: 155.

الإشارة في وما جعل أزواجكم.. والمثال الثاني لهذا الأمر غير الفطري يجعل الرجل ولد غيره المتولد من ماء الغير ولدا له فلا يمكن أن يكون متولدا من مائه أيضا. هذان القولان يخالفان الحقيقة، ولا يغيرانها إليه الإشارة في ذلكم قولكم بأفواههم<sup>29</sup>.. كذلك فعلكم إذا جعلتم مقصدكم أمرين متضادين غير فطري مثل قولكم في هذين المثالين فعلكم هذا أيضا لا يغير الحقيقة. والله يريد أن ينهكم على هذا الخطأ، وتريدون أن تقيموا جماعة عاملة بالقرآن عملا حقيقيا، وتريدون أن تصطلحوا مع جماعة لا تريد العمل بالقرآن بل تريد العمل بخلافه فتوجهكم إلى مثل تينك الجماعتين غير فطري. مثل أن يكون لرجل قلبان في جوفه فمن أتى بمعارضة هذه الآية برجل خرجت طبيعة عن سنتها فكان له تحت ثديه الأيمن لحمة تشبه القلب مثل الإصبع الزائدة في يد الإنسان لم يفهم القرآن والله يقول الحق.. إشارة إلى تبيين الحقيقة، والمنع عن أمور تنافي الفطرة هو يهدي السبيل النبي أولى بالمؤمنين... هذه الآية تفسرها من خواص مولانا محمد قاسم<sup>30</sup> هو اعتنى بها في تصانيفه المختلفة اعتناء تاما معنى قوله: أولى بالمؤمنين عنده أنه علة لوجودهم فإن هذا التعبير لا يمكن أن يصدق على شئ أنه أقرب، وأولى شئ من نفس ذلك الشئ الأعلى العلة فإنها لو لم تكن لم يكن شئ فهو أولى بالثئ من نفسه، فكذلك معنى النبي أولى أنه علة لهم، والذي هو يكون كالعلة بوجود المؤمنين يكون أبا لهم؛ ولذلك جاء في قراءة ابن عباس هو أب لهم<sup>31</sup>. قال شيخنا: وأزواجه أمهاتهم يدل على أنه أب لهم إذا كان زوج الرجل أما فالرجل أب فالمعنى أن النبي بتأثيره الإيماني يتولد الإيمان في قلوب المؤمنين بتأثيره الروحاني فهم مثل أبناء النبي.. وأولو الأرحام تفسيره معروف؛ لكن جمعه في هذه الآية فيه إشارة عندنا أن نسبة المؤمنين إلى النبي وأزواجه ليست كنسبة أولى الأرحام بعضها ببعض. نسبة أولى الأرحام جسمية. نسبة المؤمنين إلى النبي نسبة روحية إيمانية معنى قولنا نسبة روحية أن شيئا من الروحانية ينتقل إلى المؤمنين حقيقة يكون مثل البذر في قلوبهم لإيمانهم.

<sup>29</sup> قولكم بأفواهكم يعني تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنا حقيقيا، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان. لينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 6:336.

<sup>30</sup> هو الشيخ محمد قاسم النانوتوي المعروف بـ "حجة الإسلام" ولد في سنة 1248هـ في نانوتة، من مؤلفاته:

انتصار الأسلام، وغيره وتوفي الشيخ عام 1297هـ. لينظر: بخاري، أكابر علماء دار العلوم ديوبند، 21-26.

<sup>31</sup> جاء في قراءة أخرى: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم. وروي نحو هذا عن

معاوية وعباس ومجاهد وعكرمة والحسن لينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6:341.

فالنسبة الروحية عندنا مثل النسب الجسدي حقيقة متحققة ليس هذا كلاما على سبيل التجوز والتشبيه فقط. وقد ثبت مثل ذلك الانتساب من تولد عيسى بن مريم بتأثير روحاني. وإذ أخذنا من النبيين.. والغرض من هذا الميثاق ما ذكر في **ليسئل الصادق عن صدقهم**... الذين اتبعوا الأنبياء بالصدق يعني بأخذهم الإيمان منهم حقيقة يمتاز هؤلاء عن الكافرين المنتسبين إلى الأنبياء أخذنا منهم ميثاقا أن لا يجعلون من مستويين؛ لأن الله يريد أن يميز الصادقين بواسطة الأنبياء من غيرهم. فالنبوة مقصدها تمييز الصادق من غيره؛ فإذا تعين المقصد مقصد النبوة هل يمكن بعد ذلك إطاعة الكافرين والمنافقين بإنشاء الصلح معهم؟ لا.

### تمييز الكافرين والمنافقين، وتعيين أوصافهم

وذلك من قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ... بِصَبْرًا (9) إِلَى قَوْلِهِ: وَأَوْزَنَّاكُمْ أَزْوَاجَهُمْ وَدَيَارَهُمْ...** 27. ذكر الله أولا غزوة الأحزاب في الآية 9 **أذكروا نعمة الله**... فكان الهجوم من جميع قبائل العرب وأكثرهم على مركز الإيمان. وكان في المدينة جماعة المؤمنين وفيهم منافقون وبجانبهم كفار اليهود مصطلحون مع المسلمين في نظام الحكومة، وكانوا منهم. هذا الذي ذكرنا في تفسير أول الآية: أن المراد من الكافرين والمنافقين الذين هم داخلون في جماعة المؤمنين هو هذا. فاجتماع المؤمنين لإقامة الحكومة ارتكز في المدينة وكل الجماعة منسوبة إلى الإمام والأمير هو نبينا فأمر بأن يفرق من يجعل نفسه منتسبا إليه في الأمور السياسية على قسمين: مؤمنون صادقون. الآخرون أصناف 1- منافق 2- ومن في قلبه مرض 3- كافر. في هذا الهجوم وحالة ضعف المسلمين ظهر كل منهم بأصل حقيقة. رعب الحكومة ارتفع عن قلوبهم فأظهروا ما كان باطنا في قلوبهم فصاروا كالنموذج. **ولما رأى المؤمنون إلى..... 22** في أهل الإيمان كانوا مثل الأولين يعتمدون على النبي في مواعيده. فلما هجم عليهم الأحزاب أيقنوا بأن وعد الله ورسوله لا يمكن تحققه إلا بالانهازم الأحزاب. وهذا كان مشكلا كيف نذهب إليهم؟ فهذه الصورة تسهيل للانهازم فاشتدوا في الشجاعة. مدحهم الله في **23 من المؤمنين رجال**.. وفي 24 إلى 25 بيان أن الصادقين يجزيهم الله، ويعذب المنافقين يعني أن الصادق والمنافق تبيين، وامتاز في هذه الغزوة. وفي 26 إلى 27 ذكر مغلوبية اليهود والكفار. في هذا الفصل ظهر إيمان المؤمن، ونفاق المنافق، وكفر الكافر. فمن تلك الأمثلة يمكن أخذ الحدود للأصناف فالنبي مأمور بتقوية الصادقين وتخذييل المنافقين.

### تنظيم توليد المؤمنين الصادقين

هذا من قوله: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ.. (28)**. إلى قوله: **وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ...** (36) أمر النبي بامتحان أزواجه أمهات المؤمنين، فقال **إن كنتن تردن**.. ففرض اجتماع أمهات

المؤمنين في بيت النبي ليس إلا الله ورسوله والدار الآخرة فالواجب عليهم أن يجعلن أنفسهن معلمات؛ لأن الإيمان لا يتولد إلا بالتعليم وتوليد المؤمنين وجمع الحزب منتظم بأمرين بالتعليم والجهاد. فالرجال على الدوام يشتغلون بالجهاد والنساء بالتعليم يتم بذلك إقامة حزب الله للحكومة القرآنية. والحكمة في 34 واذكرن ما يتلى... فكما كان الله أوجب على النبي ما ذكره في سورة الجمعة يتلو عليهم ..<sup>32</sup> أوجب على أزواجه أيضا تعليم ذلك؛ لأنهن لصحبتن مع النبي أقدر على أخذ العلوم حقيقة ففرض عليهن التعليم؛ ولذلك عين لأمهات المؤمنين المعلم أب والنبي قال: إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم<sup>33</sup> كل شيء، والمعلمة تكون كالوالدة. ولهذا السر كثرت أزواج النبي. في الحقيقة هن معلمات. فالمسلمون من زمن لما جعل أكابرههم بيوتهم بيوت الزينة والدينا بطل الاجتماعية الإسلامية. وشعار هذه الجماعة المتخرجة ذكرهم الله في **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة... هؤلاء هم المؤمنون الصادقون.**

**إبطال الباطل: من وإذ تقول للذي أنعم الله عليه... 37 إلى قوله: ما كان محمداً أباً... 40**

أداء فرضهم إذا كان مستلزما للاعتراض من أهل النفاق، والكفر عليهم، وتشنيعهم فالذي ارتسخ في العلم لا يتأثر بالاعتراض والتشنيع، ولا يتأخر عن أداء فرضه. القرآن بين في حالات القوم أن أكثر ابتلائهم كان بسبب أنهم أثبتوا لله أولادا، وليس هذا مختصا بالنصارى كما غلب هذا الزعم على طائفة من المفسرين<sup>34</sup> بل هو موجود عند الصائبة. هذا المرض عمومي في الإنسانية. فالمفسر لفطرة عامة الناس الذي جعل قبول هذا الفكر الباطل سهلا عندهم هو تجويزهم تبني الرجل لولد غيره إذا كان هذا جائزا فالله يجعل ولد غيره ولدا له لا يكون منكرا في عقولهم. فإصلاح الإنسانية بإصلاح فطرتهم لتلايقبلوا أن يكون لله ولد كان أمرا ضروريا من أهم الضروريات هذا لا يمكن إلا بإبطال التبني والنبي كان تبني ولدا زيد بن حارثة ثم زوجه بإمرأة من عائلته، وكان حدث بينهما شقاق ففي تلك الحالة كان يتفكر لإبطال التبني فيجئ في فكره لو ترك هذا الولد زوجته أتزوج بها؛ فبذلك يخرج هذا الرسم من قريش؛ وبذلك يبطل هذا الباطل كان هذا الفكر يغلب عليه. وإذا رفع شقاق الزوجين إليه كان يأمر زيدا بإمسك زوجته، وكان غرضه أنه لا يسعى في التفريق؛ لأن بذلك

<sup>32</sup> الجمعة 2:62.

<sup>33</sup> أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، ت: محمد محيي

الدين (بيروت: المكتبة العصرية، بدون التاريخ)، 1: 3.

<sup>34</sup> كما لا يخفى فليراجع تفاسير أهل السنة لتلك المسئلة. الباحث.

تأتي إليه التهمة فلا يتم الإبطال؛ لذلك لم يكن يأذن له أن يترك زوجته، ومع ذلك كان يحب لو ترك بقرار من نفسه بدون مداخله النبي أتزوج بها قطعاً لإبطال هذا الرسم. إليه الإشارة إذ تقول للذي.... فالمصلحة الدينية تقتضي هذا الزواج؛ لكن طبيعته كان فيه التأثير من الناس؛ ولذا قيل له **وتخشى الناس.. أنهم يعيدونكم والله أحق أن تخشاه يعني:** أن المصلحة الدينية يلزم أن تغلب على الحقوق الطبيعية **زوجناكها** أي أمرنا بالتزويج. والذي جاء في بعض الروايات أن الله زوجته إياها في العرش<sup>35</sup> معناه أمر بالتزويج. فالنبي أبطل رسم التبني بفعله لإصلاح ذهنية الناس أن لا يقبلوا لله ولدا بعد ذلك، ولا يقعون في شرك. وما جاء في 40 **ما كان محمد... هو ما اعتنى به شيخ**<sup>36</sup> شيخنا<sup>37</sup> أشد اعتناء<sup>38</sup> أثبت أن معنى تلك الآية أن محمداً ليس أباً لأحد بالنسب الجسماني؛ ولكنه أبو المؤمنين روحانياً؛ لأنه رسول الله بل هو أبو الأنبياء روحانياً؛ لكونه خاتم النبيين؛ لكونه رسول الله هو موجد الإيمان في قلوب المؤمنين، ويكون في أعلى درجات النبوة مؤثر في نبوات الأنبياء، وله في تشييد هذه المعاني كلام بسيط. وأنا أخذت من تفسير خاتم النبيين: أنه نبي الأمم، ودينه آخر الأديان، وليس فوق نبوة الأمم نبوة فالنبي باعتبار أوصافه الذاتية إن كان أباً روحانياً لجميع أمته؛ لكن ليس أباً جسمانياً لأحد، ففي الحقيقة لم يتزوج بإمرأة ابنه. وفي نفي أبوة نبينا عن رجال الأمة إشارة إلى أن توريث الخلافة من النبي لا يكون على طريقة النسب الجسماني إذا لم يكن له ولد؛ فليكن الخليفة أخوه وعمه وبنو أعمامه بل يكون على النسبة الروحانية من يكون أقرب الناس في أخذه العلوم من حظيرة القدس<sup>39</sup> يكون أحق بالخلافة، وهكذا وقع. فإن الصديق كان صديقاً. ومن

<sup>35</sup>أظن أن الشيخ السندي روى الحديث بالمعنى أما لفظ الحديث نصاً فقد روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي فتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات، باب وكان عرشه على الماء، رقم الحديث 7420.

<sup>36</sup>الشيخ قاسم النانوتوي (مر ترجمته).

<sup>37</sup>الشيخ محمود الحسن (مر ترجمته).

<sup>38</sup>إن الشيخ النانوتوي اعتنى به اعتنائنا تماماً في كتابه "آب حيات".

<sup>39</sup>حظيرة القدس اصطلاح خاص لدى الإمام ولي الله الدهلوي قوله: "اعلم أن للأرواح البشرية حضرة تتجذب إليها انجذاب الحديد إلى المغناطيس وتلك الحضرة هي حظيرة القدس محل اجتماع النفوس المتجردة عن جلايب الأبدان بالروح الأعظم الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة الوجوه والألسن واللغات وإنما هو تشبه لصورة نوع الإنسان في عالم الأمثال. لينظر: الدهلوي، حجة الله البالغة، باب ذكر الملائكة الأعلى، 1: 48.

أعلى مناقبه أنه ما غير شيئاً كان في زمن النبي. هذا دليل على أن الصديق كان ينظر في حكمة الدين مثل ما كان ينظر النبي وقد جاء شئ من ذلك يوم الحديبية<sup>40</sup>. هو ليس بنبي، وكان في استعداده أن يأخذ من منيع النبوة: من حظيرة القدس.

إن هذا النظام أقامه الله لتعليم المؤمنين، وتربيتهم يعلم الأمهات، ويكمل تعليم النبي الذي هو بمنزلة الوالدمن يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) إلى قوله: تَحِيَّتُهُمْ... 44 فالله أمر المؤمنين أن يذكروه، ويسبحوه؛ لأنه هو الذي يصلي عليهم. الصلاة عندنا معناها: تبرئة الإنسانية عن الغشوش، والفساد فالله وملائكته يصلون على المؤمنين يعني أن حظيرة القدس متوجهة إلى المؤمنين هو الذي أقام نظاماً لإخراجهم من الظلمات إلى النور.

النبي مأمور بالدعوة، وتكميل المؤمنين، وعدم صلحه مع الكافرين والمنافقين  
الله أقام نظاماً بواسطة نبينا\_ عليه الصلوة والسلام\_ ولاتطع الكافرين. فالكافرون والمنافقون يريدون شيئاً غير القرآن، ويبثون الدعايات في المؤمنين أن لا يطيعوا أحكام النبي لقصرهم على العمل بالقرآن. هذا كان إذا هم قاصرون.. وَدَعُ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. إذا اشتغل برد الدعاية يلزم منه التقليل في تعليم المسلمين، وفي تكميل إرشادهم. فالمعنى توكل على الله في رد أذاهم، وتوجه نظرك في الدعوة إلى الله، وتشديد المؤمنين، وتكميل قواهم العلمية.

#### تنظيم بيت النبي بحيث لا تسري إليه الدعاية

هذا من قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ... (49) إلى قوله: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ... المرأة التي لم تدخل بيت النبي، وتركها قبل أن يمسه ليست من أمهات المؤمنين. إليه الإشارة في يأبها الذين آمنوا.. حكم عمومي، والنبي داخل فيه ثم في 50 طريقة زواج النبي غير طريقة زواج المؤمنين في بعض الأمور. وفي 52 حصر النبي على أزواج يعني ليس النبي بمختار من كل الوجوه. بعض القيود يزيد عليه بالنسبة إلى عامة المؤمنين. بهذا النظام لا يأتي في بيت النبي من لا يحبه إذا كانت النساء كثيرة من بيوت مختلفة فلوجعل لهن من الأمر شئ لأشغلن كثيرا بهن من أهم الأمور، وكان مساع لأهل العداوة أن يبث فيها الدعاية أيضا. وبهذا النظام انقطع طمع المخالفين.

تنظيم بيت النبي بحيث لا يأتي إليه دعاية بواسطة المؤمنين متصل بالسابق. في قوله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ.. 53.. فلا يدخلون بيته بدون الإذن، ولا يجلسون في بيته فوق الحاجة إذا دعوا؛ لأن ذلك يفتح باب المداخلة في نظام بيته من جهة المؤمنين ثم أمرنا

<sup>40</sup> وافق رأي الصديق رأي رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم\_ ولينظر تفاسير أهل السنة أيضا. الباحث.

بالحجاب لقطع وصول الدعاية إليهن **ولانكحوا أزواجه**..لأن نساء النبي قد قرر لهن أن يكن معلمات إلى آخر حياتهن فإذا جاز للمؤمن أن ينكح أزواجه يتغير منهم عما تركهن عليه النبي عليه الصلوة والسلام في قوله **لَا جُنَاحَ عَلَيْنَ فِي آبَائِهِنَّ...**55 ذكر لأولى الأرحام أقارب الأزواج لايحتجبن عنهم<sup>41</sup>. وتنظيم هذا البيت لإقامة تعليم القرآن قد توجه إليه حظيرة القدس.إليه الإشارة في **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**...56 هذه العبارة تستعمل لتوجه حظيرة القدس. فأوجب الله على المؤمنين أيضا أن يتوجهوا تماما إلى تنظيم هذا البيت كما أقامه النبي إليه الإشارة **ب يأبها الذين آمنوا**.

**فائدة:** كما نظم النبي بيته كان واجبا على المؤمنين إبقاء هذا التنظيم على حاله. ولما ادعت فاطمة ميراث النبي<sup>42</sup> ماغير الصديق من نظام أقامه النبي هذا من كمال علمه بحظيرة القدس، وإن سخطت فاطمة فلم يخش الصديق من الناس، وسعى في إرضائها بعدم تغييره مسلك النبي في بيته. ونحن منذ ما فهمنا حكمة الاقتصاد، وعرفنا أن النبي جعل ما يملكه وقفا ثم إبقاء الصديق على ذلك رأينا أن التثبيت على ذلك كان أهم الأمور الإسلامية فالذين أقاموا الغوغاء من الشيعة، والروافض ليسوا إلا جهلة لايعلمون حكمة الله في دينه.

#### الدعاية لعدم تكميل أمر النبي في حياته، وبعد مماته حرام

وهذا من قوله: **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ**..(52) إلى قوله: **سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ...تَبْدِيلًا (62)** النبي لايتأتى من شئ مثل تأذيه من مخالفة أمره.هذا الأمر يعرفه من كان من أولى الأمر ثم يعرفه من كان قيما للانقلاب ثم يعرفه من كان معلم الحكمة لقوم أميين؛ فبث الدعاية المرتبة ليخالف الناس أمر النبي ملعون أشر اللعنة. **واللذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات...معناه عندنا الذين يتهمونهم بأنهم**

<sup>41</sup>لما أمر تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الأجانب، بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم، كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى: ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن... [النور: 31] وفيها زيادات على هذه. لينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 404:6.

<sup>42</sup>أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن عن عائشة: أن فاطمة والعباس عليهما السلام، أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك، وسههما من خير، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا نورث، ما تركنا صدقة...لينظر: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، **بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا نُورِثُ مَا تَرَكَنَا صِدْقَةً** (قاهرة: دار طوق النجاة، 1422هـ)، رقم الحديث: 6725.

لايطيعون أمر النبي فقد احتملوا بهتاننا... هذا أمر باعث على لعن هؤلاء الناس، وأشد من ذلك أنهم يوصلون إلى النبي أن المؤمنين لايطيعونك في نظام بيوتهم خاصة، ويشيعون الفواحش بهتاننا عليهم؛ ومقصدهم من ذلك هو رفع اعتماد البعض على البعض. هذا هو فساد الاجتماعية التي هي مركز الارتقاء. فالنساء يؤمرن بخصوصية لباسهن فيكون اجتماع أهل الإسلام في المعاشرة ممتازة. وبعد هذا الامتياز إذا تعرض المنافقون لاتهم المؤمنين يجازون فيخرجون من المدينة فلايقبلهم اجتماع ما بالعزة والإكرام. بهذا يتحقق عدم إطاعة النبي للكافرين والمنافقين ثم تطهير جماعة عنهم.

### إخراج هؤلاء من المدينة يحتاج إلى تمكن تام في الحكومة

وهذا يكون بعد إتمام الانقلاب الذي يعبر عنه بالساعة في لسان القرآن. يستلون متى يأتي الانقلاب؟ وجواب السؤال في الآيات المذكورة **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ... 63 إلى قوله: رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ.. 68** وهو لاينبغي أن يسئل عن وقت الساعة بل يجب التفكير في النتائج التي تأتي بعد الساعة ذكر الله ما يأتهم من الإهانة في السعير. ونتيجة لعنهم لايجدون وليا، ويرجون أن يكون لسادتهم ضعفان من العذاب معنى هذا: أن اجتماعتهم لاتبقى قائمة يسبون، ويتسابون، ويتكلمونهم، ويرجون أن يكونوا مهانين.

### استلزام تلك الاجتماعية للحكم، والملك والخلافة:

هذا من قوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ.. (70) إلى قوله: لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ... 73**. كالذين آذوا موسى... والذين آذوا موسى ذكرهم الله في المائدة في قوله: **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ... (20) إلى قوله: قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي... (25)** كان هذا الإيذاء عدم الائتمار بأمر موسى أمرهم وقال ادخلوا الأرض... وفي 22 **إِنْ فِيهَا قَوْمٌ... وفي 24 قالوا يا موسى... أصروا على العصيان فتأذى منه موسى قال رب إلى الفاسقين..** فإن كان المسلمون أيضا يؤذون النبي، ويخالفون أوامره فيما نظم لهم من منازلهم هل يمكن أن يكونوا مالكين للخلافة؟ **فبأمر الله ما قالوا في البخاري في تفسير ذلك حديث<sup>43</sup> هو معلول من الإسرائيليات، والصحيح هو ما حكاه الله في 23 قال رجلان.. إلى مؤمنون هؤلاء أطاعوا موسى ففتحوا البلاد، ولم يذهب إلى فتح البلاد لاموسى ولا هارون فبأمر الله مما قالوا: أن أحدا من بني اسرائيل لايطيعه في أمر الجهاد، ويقاوم هو بنفسه. فاذهب أنت وربك... فألهم الله رجلين من بني إسرائيل فقاموا وفعلا ما أمروا به وكان معنى تهمة بني إسرائيل على موسى أنه يريد إهلاك بني إسرائيل، وإبقاء نفسه. هذه التهمة أشاروا إليه... اذهب أنت وربك.. فبأمر الله**

<sup>43</sup> أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن موسى كان رجلا حبيبا ستيرا، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل... إلى قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبأمر الله مما قالوا وكان عند الله وجهها لينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، 4: 156، رقم الحديث: 3404.

...رجلان من بني إسرائيل ذهبوا وقاموا بالأمر وفتحوا ورجعوا سالمين. وكل هذه موجودة في التوراة. تلك الكلمة فبرأه الله هي التي كانت سبب قبول الرواية الإسرائيلية فإن استلزم عدم الاعتماد لاتهام موسى بتهمة مما لايتفطن لها عامة الناس يأبها الذين آمنوا اتقوا أقيموا العدل..**وقولوا قولاسديدا** يعني إذا أمرتم بأمر يؤيد الحكم والملك ليسهل لكم إقامة التقوى فقولوا قولاسديدا: ايتمروا بذلك الأمر **يصلح لكم أعمالكم** الأمور العظيمة الفاسدة تصلح ببركة هذه الإطاعة **ومن يطع الله** ..يعني يحصل لهم الخلافة على جميع وجه الأرض. **إنا عرضنا الأمانة...الأمانة** معنى التكليف لإقامة حكومة نظامها مبني على العلم والعدل.عرض الله هذا الأمر من يقوم برد الجهل والظلم فنجعله أقرب إلينا من كل شيء على السموت والأرض والجبال من المملأ الأعلى أي على المدبر للسموت والأرض من الجن وملا السافل والجبال والجمادات كلها **فأبين أن يحملها**: معناه باعتبار الاستبداد،وتفصيل ذلك الحكم:الملك له خدام هو يريد أن يستخدم بعض خدم أمرهم ثم يكرمه بتفضيل على جميع الخدم هو يعرف أنه إذا فوض الأمر إلى هؤلاء لا يصلحون لذلك: لكن ما إذ لم يشركهم في اختيارالأمر يشكونه في آخر أمره إذا فضل عليهم ذلك العامل:فلسد هذا الفساد ولقطع لسانهم يقال لكل واحد منهم من فعل منكم كذا وكذا نعطيهم كذا وكذا.هذا مباح واحد.ففي تلك الحالة يتفكرون في حقيقة الأمر لا بالتنافس فقط فإذا تفكروا رأوا أنهم لا يصلحون لذلك فينقطع لسانهم بعد ذلك من الشكوى، ولذلك قيل من أراد منكم أن يقيم الحكومة لإقامة العدل،ورفع الجهل والظلم فأهل السموت وأهل الأرض السهلة وأهل الأرض الجبلية أو الجبال أيضا نظروا إلى أنفسهم فرأوا من هو عالم وعادل يعرف معنى الجهل والظلم،ومن هو جاهل لايعرف معنى العلم والعدل. هذا أمر لايتأتى إلا من جامع بين الأمرين،ولم يكن في السماء والأرض نوع يصلح لذلك إلا الإنسان؛لأنه جاهل،ويستطيع أن يكون عالما.وهذا معنى قوله **جهولا**: وهو ظالم، ويستطيع أن يكون عادلا. وهذا معنى قوله: **ظلوما** فمعنى قوله **إنه كان**.. أي لأنه كان وهو وجه امتيازه من المخلوقات كلها. فإذا أقيمت حكومة مثل ذلك يكون نتيجة أن الله بواسطة هؤلاء الحكام **يعذب المنافقين والمنافقات**.. ويتوب الله بالرحمة على أهل الإيمان بواسطة هذه الحكومة **وكان الله**...إنما أمر الله أن يطيعوا وأمر النبي،ولا يؤذونه بإتهامه أنه يريد الحكم عليهم فإذا أطاعوا أوامره يجعلهم ملوكا لايصير هو نفسه ملكا عليهم بل إنما يعلمهم. وبعد ذلك لايتهمونه يكون بريئا وجها.

### الخاتمة

لقد توصل الباحث من خلال البحث إلى نتائج عديدة أهمها فيما يلي: كان الشيخ عبيد الله من أجل علماء القرن العشرين، تلقى العلم من كبار مشائخ الهند المنتسبين في فكرهم إلى الإمام ولي الله الدهلوي كما أنه يفسر القرآن على أصول فلسفة الإمام الدهلوي، فليس تفسيره هذا على طراز كتب التفسير العامة. إنه عين مقصد سورة الأحزاب من خلال تفسيره، وهو جمع قوة لإقامة العدل والإحسان. الاجتماعية التي يحدثها غلبة القرآن\_غلبة الدين على الأديان كلها\_تتم بصورة حزب واحد- كلمة التقوى مفهومه عند الشيخ السندي هو

إقامة العدل والإحسان. إن كل من لم يتبع ما يوحى إلي النبي تماما ففي قلبه مرض أو هو منافق. لا بد للإنسان أن يكون له مقصده الأصلي واحدا حسب الفطرة الإنسانية. وإذا خالف الرجل فطرته، وجعل له مقصدين فهو أمر منكر عند العامة والخاصة. فليراجع البحث للأمثلة. إن الكافرين والمنافقين الذين أدخلوا أنفسهم في جماعة المؤمنين فهم مثل الأعداء لا الأولاد. إن أزواج النبي أمهات للمؤمنين، فالنبي أب لهم فثبت بأن المؤمنين مثل أبناء النبي؛ لأنه يتولد الإيمان في قلوبهم بتأثير روحاني. والسر في كثرة أزواج النبي بأنهم معلمات، فإذا اقتصر النبي على زوجة واحدة لا تكون المعلمة إلا واحدة، لا تكفي لإصلاح النساء. ونسبة أولي الأرحام بعضها ببعض جسمية، ونسبة المؤمنين إلي النبي نسبة روحانية. إن الغرض من الميثاق المذكور في سورة الأحزاب هو تمييز الصادقين المؤمنين من الكافرين والمنافقين. إن حزب الله تستطيع أن تقيم الحكومة القرآنية تماما بأمرين، وهما التعليم والجهاد كما أن المسلمين لما جعلوا بيوتهم بيوت الزينة والدنيا بطل الاجتماعية الإسلامية. إن توريث الخلافة لا تكون علي طريقة النسب الجسماني بل يكون علي النسبة الروحانية. إن بث الدعاية، واتهام المؤمنين هي من أسباب فساد الاجتماعية، وهي مركز الارتقاء، فالذين يبثون الدعاية؛ ليخالف الناس أمر النبي - صلي الله عليه وسلم - هم ملعونون أشر اللعنة، وهذا الأمر يودي به، ولا يفهمه أحد إلا إذا كان من أولى الأمر أو من كان قيما للانقلاب أو من كان معلم الحكمة لقوم أميين. إن النساء أمرن بخصوصية الحجاب في لباسهن لتكون اجتماعية المسلمين ممتازة في المجتمع. إن النبي أبطل رسم التبني من قريش بفعله أي بزواج زوجة ابنه الذي تبناه رسول الله - صلي الله عليه وسلم - وهو زيد بن حارثة لإصلاح ذمنية الناس، والمصلحة الدينية يلزم أن تغلب علي الحقوق الطبيعية كما أن النبي أبو المؤمنين روحانيا، وليس جسمانيا لأحد بل هو موجد الإيمان في قلوبهم بتأثير روحاني، لو كان النبي أبا جسمانيا لم يتزوج بإمرأة ابنه. لا يمكن للمسلمين بأن يكونوا مالكين للخلافة، وهم يؤذون رسول الله بمخالفة أوامرهم فيما نظم لهم من منازلهم كما أذى بنو إسرائيل موسى<sup>44</sup> بإصرارهم علي العصيان، وعدم إطاعة نبيه، ويحصل الخلافة للمسلمين علي جميع وجه الأرض بإقامة حكومة الله التي نظامها يكون مبنيا على العلم والعدل، فإذا أقيمت الحكومة هكذا فالله عزوجل يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات بواسطة هؤلاء الحكام، ويتوب الله بالرحمة علي المؤمنين بواسطة هذه الحكومة كما لا يخفي بأن المسلمين إذا أطاعوا أوامر النبي - صلي الله عليه وسلم - صدقا يجعلهم ملوكا لا يصير هو بنفسه ملكا عليهم كما لا يخفى منكم. تمت بالخير.

<sup>44</sup> كما في سورة المائدة، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ إلى قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَوْمِ الْقَاسِقِينَ)، المائدة 20-26.